الجزائر و الملف الموريسكي
خلال العهد العثماني

أ.د- حنيفي هلايلي
جامعة سيدي بلعباس

كانت الخريطة السياسة لشبه الجزيرة الإيبرية في القرن الخامس عشر الميلادي(القرن التاسع الهجري)، تتألف من عدة كيانات سياسية، تمثلت في مملكة قشتالة، و مملكة الأرغوان، و مملكة النفار، و مملكة البرتغال، و هي ممالك مسيحية، و إلى جانب منها مملكة غرناطة الإسلامية. مع العلم، أن هذه الممالك المسيحية، كانت ترغب في التوسع و الانتشار خارج حدودها من شبه الجزيرة الإيبرية، و ذلك ما نراه في سعي البرتغاليين إلى اكتشاف المحيط الأطلسي، و السيطرة على السواحل الغربية لإفريقيا، و تمكن الأرغوان من بسط سيطرته على جزء كبير من غرب البحر الأبيض المتوسط، و السيطرة على أغلب جزره، و أما مملكة النفار الصغيرة، فلم يكن لها شأن يذكر، كما أن قشتالة، كانت تمزقها عدة حروب داخلية. و في سنة 1469م (874هـ)، تزوج **فرديناند،** ملك الأرغوان، **ايزابيلا،** ملكة قشتالة، و بهذا الزواج توحدت المملكتان في الأهداف و المسعى، اذ توسعتا داخل المحيط الإسباني و ذلك بالقضاء على مملكة غرناطة الإسلامية، و خارجه في البحر الأبيض المتوسط ببسط نفودهما على ممراته.

1- ظهور الوحدة الاسبانية و بداية المشكل الموريسكي.

إن زواج **فرديناند** و **ايزابيلا** قد جمع بين مملكتين من الممالك الثلاث[1] (قشتالة، الأرغوان، البرتغال)، التي صارت موجودة تحت سلطة تكاد تكون مشتركة، رغم أنه لم يؤد ذلك إلى توحيد مملكتي قشتالة و أرغوان في دولة واحدة، لأن مملكة أرغوان استمرت في تكريس اهتمامها على جزر البحر الأبيض المتوسط؛ و على ايطاليا. التي كانت محكومة من قبل ديبلوماسيين و سياسيين ذوي اتجاه تجاري، بينما كانت لمملكة قشتالة –التي يسيطر عليها نبلاء عسكريون– نظرة سياسية أكثر عدوانية، و لم تكد تسقط غرناطة – آخر مملكة في شبه الجزيرة – حتى مد رجال قشتالة عيونهم عبر مضيق جبل طارق إلى ميادين جديدة للنشاط العسكري. و قد أرسلت **إيزابيلا** جاسوسا ليتعرف

على ما يجري في شمال افريقيا فكان تقريره كالتالي:" إن كل البلاد في حالة يبدو أن الله أراد أن يمنحها لأصحاب الجلالة"[2].

تعود أصول الوحدة الإسبانية بالزواج الذي تم بين **فرديناند** و **إيزابيلا** سنة 1469م. و بعد القضاء على آخر قلعة إسلامية بغرناطة عام 1492م. و انضمام اقليم النفار إلى المملكة سنة 1512م. و على اثرها تحقق حلم الوحدة الإسبانية بسرعة فائقة، و من جراء ذلك تولدت أسطورة إسبانيا (الامبريالية)[3] . و هكذا، تتجلى لنا قضية الوحدة الإسبانية مجسدة على أرض الواقع في عهد الملكة **إيزابيلا**، حيث جعلت من بين أهدافها إخراج العرب المسلمين و الاستيلاء على أراضيهم، و ضرب آخر معقل من معاقلهم لتتجه بعد ذلك إلى الوحدة مع أرغوان[4]، ممثلة في شخص ملكها **فرديناند** الذي كانت تحركه نفس الأهداف[5].

يرى **أحمد توفيق المدني**، أن إسبانيا المسيحية الموحدة ظهرت سنة 1474م[6]. و ذلك باحتفالها حينئذ بنصرين هما: النصر على المسلمين بعد تحطيم مملكة غرناطة واكتشاف العالم الجديد سنة 1492م[7]. و من أجل ذلك سعى **فرديناند** إلى توحيد السلطة والقضاء على نفوذ النبلاء و الإقطاعيين[8].

و مهما كان الأمر، فإن **فرديناند** و **إيزابيلا** اختارا لقب (الملكين الكاثوليكيين)، و هذا ما يفسر مدى التعصب الديني و الرغبة الجامعة في محاولة تنصير المسلمين، و أبعاد حدود الإسلام خارج شبه الجزيرة الايبرية. و كان هذا وراء التحرشات الاسبانية و البرتغالية على سواحل شمال أفريقيا خلال القرن الخامس عشر و طوال القرن السادس عشر، في إطار الحرب الصليبية المقدسة، التي كان يغذيها رجال الكنيسة الكاثوليكية[9].

و في هذا الصدد، بدأ ملوك إسبانيا وصف أنفسهم بالملوك الكاثوليك، فكل مراسلاتهم حول المسائل الأفريقية و مطاردة الأندلسيين، تدل على الطابع الديني و الصبغة الصليبية لسياستهم. فقد صرح **فرديناند** في الكثير من المرات أنه يعمل لأجل الرب، و من أجل الديانة المقدسة، و العمل على محاربة أعداء الإيمان المسيحي الكاثوليكي[10].

كانت للوحدة الإسبانية نتائج على الصعيدين الداخلي و الخارجي:

- فعلى الصعيد الداخلي: تمكن الملكان الكاثوليكيان من تنظيم السلطة و إعادة النظام- حيث أصبحت الأوامر العسكرية مرتبطة بالعرش- و إنشاء ميليشيات قوية و مسلحة و كل إليها محاربة السلب و النهب و أعمال اللصوصية السائدة آنذاك[11].

- و على الصعيد الخارجي: اتجهت إسبانيا نحو مغامرات خارجية، قوت من وحدتها السياسية في الخارج أكثر من الداخل.

ظهر المشكل الموريسكي بإسبانيا – خلال عهد الملكين الكاثوليكيين – و ارتبط بمعطيات سياسية و اقتصادية و اجتماعية، حددت مسار السياسة الإسبانية تجاه الجالية الاسلامية بها. فإسبانيا كانت تبحث بقوة عن وحدتها السياسية متخطية بذلك كل الحواجز التي تعوق هذه الوحدة:

- فالحواجز الطبيعية تتمثل في انعزال العديد ممن المناطق التي تتمسك بذاتيتها و استقلالها (كطالونيا، الباسك، الأندلس).

- و الحواجز الاقتصادية: تتمثل في التفاوت الطبقي بفعل وجود قوات إقطاعية ذات امتيازات كبيرة، و هي قوات تؤدي إلى التفكك أكثر مما تؤدي إلى الوحدة المركزية. و في هذا السياق يذكر المؤرخ الفرنسي **بروديل** (F. Braudel):" إن الدولة الحديثة كانت عدة النبلاء و الإقطاعيين"[12].

ففي قشتالة مثلا، كانت الأسرة الحاكمة ضعيفة الإمكانيات، بسبب وجود عدد من الإقطاعيين النبلاء الذين كانوا في صراع مع السلطة، فيضيقون الخناق على مشاريعها الوحدوية، إضافة إلى مدن لها حقوقها القديمة كما أن الإكليروس كان له دور حاسم في التدخل بسبب تبنيه لحرب الاسترداد (La Reconquista). و في نهاية الأمر

تمكن العرش القشتالي من التغلب على الصعاب، بفضل تحمسه للمسيحية و اخراجه للعرب المسلمين بالاستيلاء على أراضيهم؛ هذا العمل كان المحور الذي دارت حوله الوحدة القشتالية أولا، و الإسبانية ثانيا، إذ جعل من قشتالة مركز استقطاب لعدد من المتطوعين المتحمسين للمسيحية ظاهريا و الأطماع الاقتصادية باطنيا لأنها هي التي كانت تحركهم، و تدفعهم إلى الاستيلاء على الأراضي الجديدة المنتزعة من يد المسلمين، و العرش القشتالي جلب لذلك الجنود و الضباط، و أصبحت لديه الارادة الفعالة التي تسير به نحو الوحدة.

كان أول عمل اهتم به الملكان الكاثوليكيان هو تصفية الوجود الإسلامي من شبه الجزيرة الايبرية، لذلك اعتبرهم جل المؤرخين الغربيين، النباة الحقيقيون للوحدة الإسبانية[13]. و قد أطلق الأسبان لفظة موريسكي على المسلمين الذين فرض علهم التعميد الإجباري، و كلمة (Moros) أي المسلمين الأصاغر، أطلقها الإسبان على سكان شمال افريقيا، و بالخصوص على سكان منطقة موريطانيا الطنجية[14] . و تتفق معظم الدراسات التاريخية على أن مصطلح الموريسك (Moriscos)، استعمل بعد سقوط غرناطة للدلالة على المسلم الذي دخل إلى المسيحية حديثا (المسيحيون الجدد)، لكن الباحث **سيمون الحايك** يرى أن الظاهرة برزت سنة 1463م[15].

و تذهب الباحثة الفرنسية **إيفات هرموسيلا** (Y. Hermossilla) إلى أن التاريخي الموريسكي يبدأ مع سقوط غرناطة، و بداية حركة الاسترداد، حيث لوحظ استبدال لفظ مدجن (Mudéjares)[16] ، بكلمة موريسكي في وثائق محاكم التفتيش، و التي نعتت الموريسكيين بالمسيحيين الجدد (Cristiano nuevo de moro)، و هذا خلال القرن السادس عشر[17]. و قد حدد المؤرخ الإسباني **ذي إيبالزا** (M. de Epalza)، وجود ثلاثة مراحل للاطار الديني و الاجتماعي للأندلسيين من وجهة نظر القانون الإسباني ،و تشمل المراحل التالية:

- مرحلة المدجنين: قبل التعميد القسري (1502-1525م).
- المرحلة الموريسكية: و التي اعتبر فيها المسلم منصرا أو مسيحيا رديئاحيث نعتهم رجال الكنيسة بالهراطقة (Mauvais chrétiens).

- مرحلة الطرد النهائي: (1609-1614م)، و هي مرحلة عودة الأندلسيين إلى ديار الإسلام[18].

درج المؤرخون على استعمال مصطلح الموريسكيين كدلالة تاريخية للتعريف بآخر مسلمي الأندلس أو العرب المتنصرين، الذين فرض عليهم التنصير القسري ما بين (1499-1526)، و بقي أحفادهم حتى عمليات الطرد النهائي (1609م).

و يعتقد المؤرخ الفرنسي **لوي كاردياك** (L. Cardaillac)، أن مصطلح الموريسك ظهر بهذا المفهوم حوالي سنة 1560م. ليشمل كل المسلمين الذين مكثوا بشبه الجزيرة بعد سقوط غرناطة، و الذي أرغموا على اعتناق الدين المسيحي الكاثوليكي[19]. وسعت إسبانيا إلى فرض العقيدة النصرانية على المسلمين، و هذا ما يفسر تعدد إنشاء محاكم التفتيش و ملاحقة الموريسكيين.

و قد باركت البابوية بروما مشاريع ملوك إسبانيا، و هذا من خلال المساعدات الإستراتيجية التي قدمها البابا **ألكسندر السادس** (ALEXANDRE VII) (1492-1503م) - يقضي الفرمان و المؤرخ في 15 ماي 1492 بدفع الضريبة الصليبية – و المتمثلة في الدعم المالي و الروحي للملكين الكاثوليكيين، حيثدعى البابا جميع المخلصين للمسيحية إلى تدعيم إسبانيا و دفع الضريبة كل خمس سنوات و تسمى بـ (La Crusada). و هي عبارة عن امدادات مالية تقدم إلى خزينة الملكين الكاثوليكيين، لتمويل مشاريع الحملة الصليبية، و تسهيل عملية القضاء على النفود الاسلامي بالأندلس، و استئصال جذور المسلمين الثقافية و الدينية، بل ملاحقتهم إلى شمال افريقيا في اطار الصراع القائم بين الهلال و الصليب[20].

2- أوضاع شمال أفريقيا قبيل مجيء الاتراك العثمانيين.

يصور لنا المغرب الإسلامي في نهاية القرن الخامس عشر، حالته السياسية و العسكرية المنحطة، و وضعيته الاقتصادية المتدهور، في استقرائنا لأحداث تاريخ المنطقة – بعد انهيار دولة الموحدين (1130هـ/ 1269م) – يتبين لنا سمة التفكك السياسي الغالب عليه و السائد في جميع بلدانه.

و كانت منطقة المغرب في بداية القرن السادس عشر تتقاسمها نظريا ثلاث دول: بني مرين الوطاسيين في المغرب الأقصى، و بنو زيان في المغرب الأوسط و عاصمتهم تلمسان، و بنو حفص التي كانت قاعدة ملكهم مدينة تونس، و تضم كلا من الجزء الشرقي من المغرب الأوسط و افريقية حتى إقليم طرابلس. و كان المغرب الأوسط في أغلب الأحيان مسرح صراع على النفوذ بين القوى السياسية الحاكمة في القطرين المجاورين، و نظرا لفقدانه وجود سلطة مركزية، مما جعله مسرحا لفوضى القبائل، و كان من جراء هذا التمزق أن أصبح المغرب الأوسط وحدة تتناحر فيه و تتصارع عليه عدة كيانات صغيرة، فأنفقت في ذلك الأموال و استهلكت الحروب جزءا كبيرا من ثورة البلاد، كما أدت إلى عدم الاستقرار [21].

و من هذا المشهد السياسي نستخلص العناصر التالية:

- ليس هناك دولة مركزية موحدة، قوية و معترف بها في المغرب العربي.

- غياب شبه كلي للدفاع عن السواحل التي أصبحت مفتوحة لكل المغامرين و تحقيقهم لمشاريع توسعية.

- بروز البحارة الشرقيين و الموريسكيين، الذين اعتبروا قوة بحرية جديدة في الفضاء الجغراسياسي للبحر الأبيض المتوسط الغربي في بداية القرن السادس عشر؛ و هو الأمر الذي مكنها من مجابهة و محاربة إسبانيا، و مديد المساعدة للأندلسيين داخل إسبانيا، و من هذا المنطلق وضعت المملكة الإسبانية آلية احتواء و احتلال لسواحل و موانئ المغرب الأوسط[22].

كانت خطة إسبانيا بعد - سقوط مملكة غرناطة عام 1492م- قائمة على غزو سواحل شمال أفريقيا، و تصفية النفوذ الإسلامي نهائيا، من شبه الجزيرة الإيبرية. قد أسفر هذا الانتصار الذي حققه الملكان المسيحيان ضد المسلمين، إلى انتعاش الروح الصليبية من جديد؛ و تعقب الأندلسيين الذين التجأوا إلى موانئ شمال أفريقيا، فإسبانيا بدأت بإنزال حملاتها على سواحل المغرب الأوسط، فاحتلت ميناء المرسى الكبير و (911هـ/ 1505م)، ثم أخذ نطاق العمليات الإسبانية يتسع منذ 1508م. حين تولى قيادة الأساطيل الملكية، **بدرو نافارو** (Pedro Navarra)، الذي تمكن من احتلال وهران (915هـ/ 1509م)، ثم بجاية (916هـ/ 1510م)، و تحت هذا الضغط الإسباني، اضطرت موانئ "دلس" و "الجزائر" إلى دفع جزية لإسبانيا، لأن الزيانيين أثبتوا عجزهم في حماية هذه الموانئ نتيجة

للتفكك السياسي الذي أصاب دولتهم، و للثورات الداخلية التي تشبت ضدهم كرد فعل على كثرة الضرائب التي فرضوها في تلك الفترة على الأهالي، بحجة الغزو الخارجي.

و اضطرت السلطات الزيانية إلى عقد صلح مع إسبانيا سنة 1512م. اعترفت فيه باستيلاء إسبانيا على عدة موانئ في غرب الجزائر[23]. و بسبب ضعف المملكة الزيانية، استولى الأسبان على تنس و قلعة البنيون (الصخرة)، و مستغانم. و كان سقوط المرسى الكبير و وهران، خسارة عظمى لمملكة تلمسان، و لم يعد تجار البندقية يقصدون وهران لكونها مليئة بالجنود الإسبان، فطلب منهم أهل تلمسان أن يأتوا إلى هنين[24].

و هكذا، وضعت إسبانيا لنفسها موضع قدم في شمال أفريقيا، كانت عبارة عن نقط ارتكاز أمامية منعزلة للدفاع عن سواحلها الخاصة، كما شيدت سلسلة من القلاع على طول ساحل الشمال الأفريقي. و عاشت القلاع و الحصون الإسبانية في حالة حصار طوال فترة الاحتلال، و كانت حياة الجند شاقة، و بلغ اليأس بالجند مبلغا جعلهم يفكرون في أن يتحولوا إلى مغاربة[25].

و نظرا للتدهور و التفكك الذي شهده المغرب الأوسط، ساعد على إفساح المجال للفتن الداخلية و فتح الباب للهجمات الخارجية و الغارات الإسبانية؛ و في مقابل هذا التشتت، وقفت إسبانيا بعدما استكملت وحدتها – تعززها القوى الروحية التي منحتها إياها البابوية، أمام العالم المسيحي عندما باركت مشاريعها الصليبية – تعمل من أجل حل الخلافات التي كانت قائمة بينها و بين مملكة البرتغال. و لقد كللت المساعي البابوية بالنجاح حيث أبرمت اتفاقا بين الدولتين سنة 1499م. تم بمقتضاه تقسيم العالم الغير الأوروبي إلى منطقتي نفوذ بينهما، و كان المغرب الأوسط في هذه القسمة من نصيب الأسبان.

ففي ظل هاته الظروف السياسية و النفسية، حدثت تلك المبادرة التاريخية لسكان مدينة الجزائر، التي سوف تغير وجه المنطقة، و التي تتمثل في دعوة **عروج** لقيادة حركة الجهاد انطلاقا من مدينة الجزائر.

3- أيالة الجزائر و القضية الموريسكية.

أرسل سالم التومي[26] باسم مجلس أعيان مدينة الجزائر[27]، رسوله إلى مدينة جيجل، طالبا المساعدة من **عروج** و أخيه **خير الدين** على تخليص مدينة الجزائر من الإسبان . فلبيا الطلب و جهز الأخوان حوالي ثلاثة آلاف من رجال القبائل، و اتجهوا لإنقاذ مدينة الجزائر تحت قيادة **عروج**. و تمكنوا من دخول المدينة، و عندما أدرك شيخ بني مزغنة، **سالم بن التومي**، أن عهد المشيخة قد ولى، بدأ في خلق المصاعب أمام **عروج**. مما أدى إلى القطيعة بين الرجلين، فكانت النتيجة إعدام **سالم التومي** و التخلص من مؤامراته[28].

بعد وفاة **سالم بن التومي**، أخمدت نار الفتنة و فسحت المجال واسعا أمام **عروج** للتحكم في زمام الأمور، و إعداد نفسه لتحقيق مشروعه التحريري التوحيدي و الذي قام على أساس المبادئ التالية:

- تنظيم المؤسسة العسكرية، و ذلك بإقامة التحصينات القوية و إنشاء حاميات عسكرية خارج المدينة.
- توسيع نفوذه و ذلك بإخضاع القبائل إلى السلطة المركزية.
- تقسيم الأراضي التي تحت سيطرته إلى مقاطعتين شرقية و غربية. فالغربية عاصمتها الجزائر، كان يديرها بنفسه، أما الشرقية التي كانت عاصمتها دلس فقد عين لادارتها أخاه **خير الدين**.
- إنشاء مجلس الدفاع يضم كبار قادة الجيش[29].

استطاع **عروج** من فتح مدينتي تنس و تلمسان، الشيء الذي أضر بالمصالح الإسبانية بوهران، مما دفع الملك **شارل الخامس** (1516-1556)إلى أن يطلب من حاكم وهران المركيز **دي قوماز** (M. de Gomaz) بمجابهة تلمسان، و إعادة السلطان الزياني أبي حموا إلى السلطة[30]. و انتهت الحملة باستشهاد **عروج** و هو في طريق العودة إلى مدينة الجزائر سنة 924هـ/ 1518م.

تولى **خير الدين** القيادة بعد وفاة أخيه، و رفض طلبا تقدم به أعضاء مجلس الدفاع، يتضمن تعيينه ملكا على الجزائر، و لكنه اشترط على أعيان مدينة الجزائر الاستنجاد بالسلطان العثماني **سليم الأول** (1512-1520م). و

بالفعل فقد أرسل السلطان ألفين من جنود الأنكشارية و أربعة آلاف من المشارقة، بالإضافة إلى إرساله لبعض المدافع و الذخيرة الحربية(31).

و يعتبر هذا الاتصال بين **خير الدين** و الدولة العثمانية، بداية انضمام إقليم المغرب الأوسط إلى حوزة الدولة العثمانية(32)، ظهرت شخصية **خير الدين** عندما كان يغير على السواحل الإسبانية، حاملا معه الغنائم و العبيد و الموريسكيين الراغبين في الفرار من الاستبداد الإسباني.

إن هؤلاء اللاجئين كانوا يشيدون بخصال **خير الدين**، على أنه بطل مسلم، يمكن أن يقود ذات يوم جيشا منصورا إلى إسبانيا نفسها(33). إن النجاح الذي حققه **خير الدين** قد أكسبه سمعة وهيبة لدى الجزائريين و الموريسكيين الأندلسيين على حد سواء، أما السلطان **سليمان القانوني** (1520-1566م). الذي اتصل بلائحة شكاوي من الموريسكيين، فقد سارع بإرسال فرمان إلى **خير الدين** يأمره بالتحول إلى اسطامبول للمشورة و مناقشة موضوع إنشاء أسطول عثماني و إمكانية تدخل الدولة العثمانية في غرب البحر الأبيض المتوسط(34).

أدرك السلطان **سليمان القانوني** جيدا خلفية و أهداف السياسة الإسبانية في المغرب العربي، و وضع الموريسكيين، و وجوب العمل على تقوية الوجود العثماني في البحر المتوسط الغربي، و هذا وفقا للإستراتيجية العسكرية التي يسعى خير الدين إلى تنفيذها و تحقيقها. و قد سلم السلطان **سليمان** إلى **خير الدين** شخصيا بتاريخ 6 مايو 1534م. علما و صولجانا و سيفا كعلامة تشريفية. و استجابة لهذه الرؤية اتخذت عدة قرارات منها:

منح **خير الدين** لقب "بيلرباي" ثم بعد ذلك لقب "قبودان باشا" أي أمير البحرية العثمانية(35). عندما دعا السلطان العثماني خير الدين إلى اسطامبول سنة 1532م. كان السؤال المطروح هو، هل ستحدث حرب في البحر الأبيض المتوسط بين الدولتين، العثمانية و الاسبانية؟ و هل يتمكن العثمانيون من تحطيم الامبراطورية الاسبانية؟ و هل يمكن لقوة إسلامية أن تستعيد الأندلس و تصحح المظالم التي تكبدها الموريسكيون الأندلسيون؟.

و انطلاقا من سنة 1520م. عندما ارتبطت الجزائر بالسلطنة العثمانية، يمكننا أن نتحسس على ضوء الأحداث، خلفية التدخل العثماني في منطقة الحوض الغربي للمتوسط.

بعد استرجاع قلعة البنيون سنة 1529م. من يد الأسبان – و هو الأمر الذي كان وراء إرساء الوحدة السياسية و الإدارية لأيالة الجزائر العثمانية[36]" و النقطة المركزية في الصراع بين الدولتين، العثمانية و الإسبانية – أصبح يطلق على أيالة الجزائر اسم (مسرح الحروب)، و نعتها بالقاعدة الخلفية في الجناح الغربي المتوسطي للدولة العثمانية[37].

إن استقرار الحكم العثماني بالجزائر، و (عثمنة) فضاء المغرب الأوسط. و تزايد عمليات الجهاد البحري، أدى إلى تغيير الخارطة الجغراسياسية لمنطقة البحر المتوسط الغربي، ليصبح الصراع العثماني – الإسباني ذا أبعاد عالمية، و بموجبه أصبحت أيالة الجزائر محورها الرئيسي، و خاصة بعد تدفق تيار الهجرة الأندلسية على سواحل شمال أفريقيا، و الدور الفعال الذي قامت به البحرية الجزائرية – العثمانية في عمليات الإنقاذ. يرى المؤرخ الجزائري **سعد الله** أن الدولة العثمانية دخلت رسميا في الحرب ضد إسبانيا، بعد أن أصبحت الجزائر إحدى أيالاتها في شمال أفريقيا[38].

و قدر للجالية الأندلسية التي بدأت هجرتها مند سقوط دولة الموحدين ثم ازدادت بصورة ملحوظة منذ مطلع القرن السادس عشر، أن تلعب دورا بارزا في تاريخ المغرب الأوسط(الجزائر).

الهوامش :

(1) كانت المملكة الثالثة هي البرتغال، و قد استغرق قرار ايزابيلا، في هل تتزوج من أسرة الأرغوان أو من أسرة البرتغال؟ و كان قرارها الأخير مصيريا بالنسبة للمالك الثالث. و كانت ايزابيلا تختار ما بين الزواج الأرغواني و البرتغالي، ما بين الأطلسي و المتوسطي، و من هنا اختمر مشروع الوحدة الإسبانية.

(2) جون (ب)، و ولف، الجزائر و أوروبا (ترجمة و تعليق: د. أبو القاسم سعد الله)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 24.

(3) F. Braudel, La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, Paris, Armand colin, 2ed, 1965.p.15.9

(4) تختلف أرغوان عن قشتالة من حيث بنيتها الاقتصادية. فقد كانت الأولى تعتمد على ازدهارها التجاري و نشاطها في الحوض الغربي للمتوسط، في حين كانت الثانية تعتمد على الفلاحة، أما الصناعة فكانت بيد المسلمين و التجارة كانت بيد اليهود.

(5) للمزيد من الإيضاح عن حياة فرديناند و إيزابيلا، راجع:

Joseph, Pérez, ISABELLE et FERDINAND, Rois catholiques d'ESpagne, Paris, Arthère Fayard, 1988.

(6) بعد وفاة ملك قشتالة هنري الرابع يوم 2 ديسمبر 1474م، أصبحت إيزابيلا ملكة على قشتالة، أما فرديناند فتمكن من اعتلاء عرش أرغوان بعد وفاة جون الثاني سنة 1479م.

(7) درج المؤرخون على اعتبار العصر الحديث أنه العصر الذي بدأ مع أحداث عالمية ثلاثة: سقوط القسطنطينية (1453م)، و اكتشاف رأس الرجاء الصالح (1497م)، و اكتشاف العالم الجديد (1492م).

(8) أحمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا (1492-1792)، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1976، ص 48.

(9) F. Braudel, op, cit, T2, pp. 19-20.

(10) F. Braudel, « les Espagnoles et l'Afrique du Nord de 1492-1577 », in, R.A (N) 69), 1928, p. 199.

(11) Jean, Descola, Histoire d'Espagne, Paris, 1979, p. 308.

(12) F. Braudel, op, cit, T2, p.54.

(13) Ibid , p.19.

(14) للمزيد حول الموضوع راجع مادة Moriscos : Encyclopédie de L'Islam, Paris, N[elle] éditions, 1993, T.VII, p. 243-245

و مادة (Maures) في:

Dominique et janine sondel, Dictionnaire historique de L'Islam, Paris, P.U.F,.

(15) سيمون، الحايك:" الدراسات الموريسكية في الخمس و العشرين سنة الأخيرة في إسبانيا"، في أعمال المؤتمر العالمي السادس للدراسات الموريسكية الأندلسية حول (وضعية الدراسات الموريسكية الأندلسية في العالم خلال الثلاثين سنة الماضية)، (جمع و تقديم: د. عبد الجليل التميمي)، زغوان: سيرمدي 1995، ص 25.

(16) عندما سقطت الحواضر الاسلامية بالأندلس و دب الضعف في دول الطوائف، ظهر عنصر المدجنين، و هم المسلمون الذين افتكت أراضيهم

و اندمجوا في وسط و حياة الممالك المسيحية، و حافظوا على مساجدهم و تقاليدهم، و اعتبرت طليلة مركزا لهم.

(17) Cardaillac (Y), Hermossilla, la magie en Espagne morisques et vieux chrétiens XVIè et XVIIe siècle, Bordeaux, 1994, T1, pp. 33-36

(18) M. de Epalza: « l'identité anomastique et l'linguistique des morisques », in, Actes du II symposium international du C.I.E.M, sur (Religion, identité et sources documentaires sur les morisques Andalous), Etudes réunies et présentés par A. Temimi, Tunis 1984, T1, pp.269-279

(19) لوي، كاردياك ،الموريسكيون الأندلسيون و المسيحيون، المجابهة الجدلية (1492-1640)، (تعريب و تقديم:د. عبد الجليل التميمي)، الجزائر: الدار التونسية للنشر و المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص 150.

(20) F. Braudel, les Espagnoles ... op, cit, pp. 200-201.

(21) محمد خير، فارس، تاريخ الجزائر الحديث، من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط2، بيروت: مكتبة الشرق 1979، ص 6-7.

(22) عبد الجليل، التميمي: " التشكل الإداري و الجغراسياسي للايالات العثمانية بالجزائر و تونس و طرابلس الغرب (1557-1588)"، في كتاب تقديري للأستاذ خليل الساحلي أو غلو (جمع و تقديم: د. عبد الجليل التميمي)، زغوان: سيرمدي 1997، ج2، ص 451-452.

(23) حول موضوع الاحتلال الاسباني لموانئ المغرب الأوسط، أنظر:

يحي، بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول و ممالك أوروبا 1500-1830، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1985، ص 11-12.

(24) الحسن بن محمد، الوزان، وصف افريقيا (ترجمة: محمد حجي و محمد الأخضر)، الرباط 1982، ج2، ص9.

(25) شارل أندري، جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، (تعريب: محمد مزالي و البشير بن سلامة)، ط2، تونس: الدار التونسية للنشر، 1983، ج2، ص 325

(26) كان سالم التومي شيخ بني مزغنة، و هو ينتمي إلى إحدى العائلات المتيجية الثرية.

(27) هذا المجلس هو عبارة عن برلمان يضم فقهاء و أثرياء مدينة الجزائر آنذاك.

(28) علي، أجقو:" الدولة الجزائرية الأولى 1514-1830 : دراسة مؤسساتية " ، مجلة العلوم الاجتماعية و الانسانية، جامعة باتنة، العدد2، ديسمبر 1994، ص140-141.

(29) نفسه،142.

(30) عاد السلطان الزياني أبو حمو إلى الحكم سنة 1518، و أرغمه الاسبان على دفع ضريبة سنوية تقدر بـ 1200 دوكة ذهبية، للمزيد من التفاصيل راجع: جون (ب)، و ولف، المصدر السابق، ص 29-30.

(31) نفسه، ص 30-31.

(32) حول انضمام المغرب الأوسط إلى الخلافة العثمانية، راجع:

عبد الجليل، التميمي:" أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519"، المجلة التاريخية المغربية، تونس، العدد 6، جويلية 1976، ص 116-120.

(33) نفسه.

(34) حول هذا الموضوع، راجع مادة الجزائر عثمانية في دائرة المعارف الاسلامية:

Marcel, Colombe, « Algérie Turque », in, Encyclopédie de L'Islam, op. cit, T1, pp. 378-380.

(35) عبد الجليل، التميمي، التشكل الإداري ... المقال السالف الذكر، ص 45.

(36) جون (ب)، و ولف، المصدر السابق، ص 60.

(37) نفسه.

(38) أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1981، ج1، ص 136.